رحيل «الصعيدية الأوروبية» و«معشوقة الجماهير»

ناديا لطفي.. تميزت بمدرستها الخاصة في الأداء التمثيلي وجمالها اللافت سبب شهرتها

وائل العدس

«الصعيدية الأوروبية»، هكذا يعرف الجميع الفنانة الكبيرة نادية لطفي، التي يصفها جميع أبناء جيلها بـ«معشوقة الجماهير»، والتي كانت إحدى نجمات الصف الأول في جميع الدول العربية، في وقت كان فيه السندريلا سعاد حسني، وسيدة الشاشة فاتن حمامة.

تعد واحدة من أشهر الممثلات في تاريخ مصر، إذ ولدت يوم ٣ كانون الثاني عام ١٩٣٧ وتوفيت يوم أمس الأول، وكان جمالها اللافت سبب شهرتها الكبيرة، حيث تميزت ببشرتها البيضاء الصافية وعيونها العسلية الواسعة.

وقدمت لطفي مسيرة فنية حافلة في مشوارها الفني الذي استمر نحو ٦٠ عاماً، أكثر من ٧٠ عملاً فنياً متنوعاً بين أفلام سينمائية ومسلسلات.

واعتزلت التمثيل منذ عام ١٩٩٣، إذ كان آخر أعمالها مسلسل «ناس ولاد ناس» تشاركت فيه مع الفنانين عبد المنعم مدبولي وكرم مطاوع وأحمد بدير وأمينة رزق وحسن مصطفى وغيرهم.

بصمات واضحة

ولدت في حي عابدين في القاهرة لأب مصري وأم مصرية وليس كما يدعى أنها بولندية، حصلت على دبلوم المدرسة الألمانية في مصر عام ١٩٥٥.

اسمها الحقيقي كان بولا محمد لطفي شفيق، ولكن اكتشف المخرج رمسيس نجيب، أن اسمها الحقيقي صعب وغريب على الجمهور، لذلك قرر تغييره، وهنا جاءت الحيرة.

وبينما كان يشاهد فيلم «لا أنام» للفنانة فاتن حمامة، عن قصة لإحسان عبد القدوس، وكان اسمها هو نادية لطفي، قرر نجيب أن يمنحها الاسم نفسه.

وفي يوم العرض الخاص لفيلمها الأول، وجه نجيب دعوة لكل من إحسان وفاتن للحضور، وبالفعل حضرا وأعجبا كثيراً بأداء الفنانة الشابة وشجعها إحسان بقوله: «أنت بالفعل نادية لطفي اللي ألهمتني فكرة القصة»، أما فاتنَ فهنأتها على نجاحها وقالت لها ضاحكة: «لا تنسي أنني نادية لطفي الحقيقية».

وذكر الصحفي فوميل لبيب في مجلة «السينما والمسرح»، عدد نيسان عام ١٩٧٦عن لطفي، أنها فنانة وبصمات رحمتها واضحة مع أسر الشهداء في نكسة حزيران عام ١٩٦٧ ومع الجنود في الخنادق في سنوات الاستنزاف، ومع أبطال المعارك في ٦ تشرين الأول عام ١٩٧٣ ثم مع البائسين من أهل الفن، وهي تجمع لصندوق الفنانين ما تستطيع.

كما عملت ضمن فريق المتطوعات في أعمال التمريض بمستشفى المعادي العسكري بعد حرب تشرين الأول، إذ أقامت في قصر العيني وأسعفت الجرحى.

مدرسة خاصة

تميزت لطفي بمدرستها الخاصة في الأداء التمثيلي، وقدمت للسينما تجارب مهمة في تاريخها منها «الخطايا» مع العندليب عبد الحليم حافظ، إخراج حسن الإمام، و«قصر الشوق» مع يحيى شاهين، لنجيب محفوظ وإخراج حسن الإمام، و«السمان والخريف» مع محمود مرسي، قصة نجيب محفوظ، إخراج حسام الدين مصطفى، و«الناصر صلاح الدين».

ومن أفلامها أيضاً «حب إلى الأبد، عمالقة البحار، لا تطفئ الشمس، حبي الوحيد، السبع بنات، نصف عذراء، مذكرات تلميذة، أيام بلا حب، قاضي الغرام، من غير ميعاد، الخطايا، حب لا أنساه، حياة عازب، جواز في خطر، سنوات الحرب، للرجال فقط، هارب من الحياة، الخائنة، مطلوب أرملة، عدو المرأة، غراميات مجنون، سكرتير ماما، الرجل المناسب، عشاق الحياة، أضواء المدينة، بديعة مصابني، الأخوة الأعداء، وراء الشمس، الأب الشرعي».

وقدمت عملاً تلفزيونياً واحداً وهو «ناس ولاد ناس»، وعملاً مسرحياً واحداً وهو «بمبة كشر»، وكان لها نشاط ملحوظ في الدفاع عن حقوق الحيوان مع بداية ثمانينيات القرن العشرين.

وشكلت لطفي ثنائية جميلة مع الفنانة سعاد حسني وشاركتا معاً في مجموعة من الأفلام.

> اكتشفها إحسان عبد القدوس واقتبس اسمها من فاتن حمامة

سكرتير خاص

قررت نادية لطفي، تعيين سكرتير خاص بها، لينظم لها مواعيد عملها ويختار لها الفساتين التي ترتديها، بعد أن طلب منها المخرج حسام الدين مصطفى، أن تنقص من وزنها نحو ٩ كيلوغرامات، من أجل دورها في فيلم «النظارة السوداء».

وبالفعل، قام السكرتير بتنظيم مواعيد الطعام لها، واختيار الأصناف إضافة إلى طريقة ملابسها، لتحصل في النهاية على الدور.

وكان الفيلم من بطولة أحمد مظهر وظهر الفنان أحمد رمزي كضيف شرف، وهو من إخراج حسام الدين مصطفى، وتم إنتاجه عام ١٩٦٣.

ثلاث زيجات

تزوجت ٣ مرات، كان أكثرهم بؤساً هي الزيجة الأولى عندما كانت بعمر العشرين، حيث إنه بعد أن تزوجت للمرة الأولى من الكابتن البحري عادل البشاري البشاري ووالد ابنها الوحيد أحمد الذي تخرج في كلية التجارة وعمل في مجال المصارف، قرر تركها بعد فترة قصيرة وسافر إلى الولايات المتحدة الأميركية وكندا من أجل جني المال.

ووافقت مضطرة على سفره على أمل العودة بعد عام أو اثنين، ولكن الزوج بقي سنوات كثيرة يراسلها من هناك ويتحجج لها بأشياء لم يقبلها عقل الفنانة، وأحست بأن شيئاً قد اجتذبه هناك وأنه لن يعود، ومن هنا قررت أن تطلب الطلاق، وبعد فترة من الوقت، وافق الزوج، وطلقها عن طريق المراسلة.

الزيجة الثانية كانت من المهندس إبراهيم صادق شفيق، وكان هذا في أوائل سبعينيات القرن العشرين ويعتبر أطول زيجاتها، والثالثة من محمد صبري.

كتاب وثائقي

قررت لطفي عام ٢٠٠٣، إعداد كتاب وثائقي يسجل الحروب التي تعرض لها العالم العربي منذ عام ١٩٥٦ وحتى ٢٠٠٣، وخصوصاً أحداث العدوان الأميركي والبريطاني على العراق.

وقالت إنها قررت إصدار كتاب يعبّر عن رؤيتها كفنانة تجاه الأحداث التي تعرض لها العالم العربي حيث تعتبر نفسها شاهد عيان على هذه الأحداث، مضيفة: إنها لن تكتب الأحداث ولكنها ستتحدث عنها كمواطنة.

ولفتت إلى أنها ستخصص فصلاً من الكتاب للحديث عن دور الفن في الأحداث التي تعرضت لها مصر، وكيف صور الفن الحروب التي وقعت على مصر ودور الفنانين في دعم الحالة المعنوية للجنود على جبهة القتال.

وقالت في وقت سابق إنها تعكف على كتابة قصة حياة الفنانة الراحلة أمينة رزق، منذ مولدها حتى رحيلها، ساردة واقع المجتمع المصري من خلال هذه الفترة.

بين العندليب والسندريلا

نشرت مجلة «الموعد»، التي كانت تصدر في الستينيات، قصة حول العلاقة القوية التي كانت تربط، نادية لطفي بالسندريلا سعاد حسني، ومدى صداقتهما، إلا أن ثمة شيئاً عكر ذلك فيما بعد.

وقرر العندليب بدء تصوير فيلم «الخطايا»، أحد أهم أفلام السينما المصرية، وكانت الفنانتان متحفزتين للقيام بالدور، وكانت كل واحدة منهما تتمنى الوقوف أمام عبد الحليم، ومن ثم وقع الاختيار على سعاد حسني لتبدأ حرب صحفية شرسة على «العندليب والسندريلا»، وتم تداول شائعات كثيرة حول وجود علاقة بينهما.

وأثارت هذه الشائعات حفيظة عبد الحليم، ليقرر بعدها مهاتفة جميع رؤساء التحرير من أجل نفي كل هذا، وهو ما أثار استياء السندريلا، التي قررت رد الصاع صاعين للعندليب، والتهرب منه ومن الدور.

بعد فترة قصيرة قرر عبد الحليم أن تكون نادية لطفي هي البطلة التي أمامه، وعندما عرض عليها، ترددت بسبب علاقتها بسعاد حسني، التي سوف تخسرها إن قامت بالدور، ولكنها ضحت بكل شيء واختارت الوقوف أمام العندليب.

لا تحب الشهرة

قالت لطفي إنها لم تكن تحب الشهرة، ولكن كان يجذبها فقط حب الجمهور، مشيرة إلى أن الشهرة سلبتها الخصوصية في حياتها، إضافة إلى أنها تعرضت لشائعات كثيرة وصفتها بالسخيفة، وكل هذا كان بسبب الشهرة.

وفي جميع الأحاديث الصحفية أو التليفزيونية التي قامت بها لم يظهر ابنها الوحيد «أحمد» مطلقاً، وكانت تبرر ذلك دائماً بأنه يتعلم بالخارج في أميركا.

وترددت بعض الأقاويل داخل الوسط الفني، أنها كانت تمانع من ظهور ابنها في الإعلام، بسبب إعطائه بعض الخصوصية، وخاصة أنها كانت تخاف عليه كثيراً.

مارلين مونرو بين أقلام كالسواطير

متى نراجع أنفسنا ابتغاء السمو؟

ضحى مهنا

فلا كانت الكتابة ولا الأدب، ولا كانت جوائز بوكر ونوبل إن كانوا سيسرعون إليها بالسواطير بدلاً من أقلامٍ ترسم الحياة البهية. هل يحتاج الوطن في معاركه إلى سواطير أخرى؟

لماذا يتحول القلم إلى ساطور؟ أقول هذا وقد سمعتُ أن كاتبة ادّعت على كاتب، وكلاهما من سورية وكانا صديقين، بأنه تسلّل إلى روايتها التي أصدرتها قبل روايته بعام. تقول الكاتبة إنه سطا عليها، ونشرت على صفحتها ما ذهب إليه وبالتفاصيل.

وكلّنا يعرف بأن المعاني منثورة في الطريق كما قال الجاحظ وبعدها تأتي تقنيّة الكتابة بأدواتها التي يتميّز بها كاتب عن آخر. فكيف إن كانت مصادر الروايتين واحدة عند الكاتبة والكاتب!

ردّ على الكاتبة أولاً أصحاب الكاتب وكانوا كثراً، وسمعتُ صدى أصوات القبيلة المتعصبة، زعم أحدهم أن الكاتبة من الهواة، وسريعاً تطوّعت شلّة للكاتبة أو لنقل قبيلتها، وتصدت لها قبيلة للكاتب أو قبائل، تراشقوا وتشاتموا، وكان السوريون أتقنوا الشتائم والسخرية المبتذلة، ولم يقفزوا فوقها طوال هذه السنين العجاف، رغم اعتراف الأطراف كلها بالأخطاء والخطايا، وادعى بعضهم ومن الأطراف ذاتها وجميعها بأنهم سيراجعون ويصوّبون مواقفهم.. هيهات، هيهات.

أعود إلى «معركة» الكاتبة والكاتب، فقرأت للأخير المدّعى عليه ردّاً متأخراً وجاء أكثر انحداراً من ردود القبائل. فقد وصف الكاتبة بمارلين مونرو!! دون أن يزيد وأرادها شتيمة مدويّة!!

ماذا علينا أن نتذكر سوى ما جاء في هجاء الجاهلية (أسود- عبد- قصير- وضيع النسب الخ..)، ورأت الكاتبة في مارلين مونرو مديحاً، فراحت تشيد بجمال مارلين مونرو، وحكت قصتها على صفحتها مع الحلاق الذي نصح بقصّ جديلتها البنية اللون، ثم اقترح عليها وربما الكومبيوتر الذكي (والأخير من عندي) تسريحة قصيرة وتشقير الشعر، وأحسب أن الكاتب وشلّته انقلبوا على ظهورهم ضاحكين وقد «نجحوا!!» في أن يسحبوا الكاتبة إلى الكلام على تسريحة الشعر الأشقر و«أنسوّها!!» أب الرواية وأمها، ورأيت حقيقة البدائية المتخلّفة في الردود، ولا صلة لهذا بالمدنيّة أو البداوة، إنما هي عقول ذهبت وعصبيّة بغيضة لا يستطيع أصحابها التخلّص من أمراضها، فابتعدوا عن الأدب الحيّ الرصين. أما كان على الكاتب أن يردّ بجديّة على الكاتبة وكانت مهذبة حقيقة في ادّعائها. ولماذا يترك الكاتب لأصحابه أن ينبشوا بالسواطير في الأنساب والأصول؟

وقد ردّت الكاتبة وشلّتها على ذلك بفخر أين منه ذلك في الجاهلية!؟

وما رأيت في الردود إلا بؤساً وظلاماً، هل أرادوا بالسواطير أن تخرج الكاتبة من معركتها التي وصفها صاحب آخر للكاتب بأنها «طبخة بحص»؟ أفلا يتطوع فيصل نزيه ليكشف الحقيقة، بعد أن لمستُ في الردود سخرية بالأدب واستهزاء بالمرأة قبل الأديبة؟

أليس للإنسان، كما يدّعون الحرية في اتخاذ المظهر الذي يريده؟

فجسمه ملك له وحده وأما الأدب فله قراؤه ونقاده، ولا يتهمني أحد بالنسوية والعصبيّة فلستُ معنيّة بهما، وإنْ نسيت فلن أنسى أن كتاباً كتبوا عن قضايا المرأة والأديبة أفضل مما كتبت بعضهن. وقد سبق لساحات الثقافة والأدب أن شهدت معارك ولم تنحدر إلى هذا العنف المتنمّر. تأملتُ حولي فرأيت الحياة تتحرك في كل اتجاه وما عادت التصنيفات مفيدة، ولكن ما بال منطقتنا لا تتحرك إلا إلى الخلف؟ ولا عجب أن نهضة حقيقية لم تظهر ولا ثورة ستقوم حتى للجياع ما دامت النفوس هنا، تتنازعها الأنانية والعصبية، وهنا أعترف أن لا دوْرَ للآخر الغريب ولا للأنظمة في هذه الأمور.. قالوا إن المرأة مركز الكون ومن مياهها خرج العلماء والفلاسفة والأدباء و.. وغاب عنهم أن حاملي السواطير والمنافقين خرجوا منها أيضاً وهم يتباهون وأقلامهم مرفوعة، بشرف النضال في سبيل الحرية والمساواة، هم أنفسهم أو بعضهم في السياسة وغيرها، ولا عجب مرة أخرى، في أن الوطن لم يخرج حتى الآن من فجيعته رغم انقضاء السبع العجاف ويكاد يدخل في السنة التاسعة.

يبدو أن على الجميع أن يحرصوا على أن يتمتعوا بالقوة قوة الإمكانات الذاتية لا قوة الشلّة والصحبة، فالتحديات كبيرة وقد تسيء إليه القبيلة أكثر مما تنفعه في منافسة ينبغي أن تكون شريفة ونزيهة، وهذا لا يعني أن يكون المرء وحيداً صامتاً فلسنا وحدنا كما أكدت لي صديقة يوماً، وإلاّ فالنهارات سترحل مبكرة وضجرة لأن ثمة أغانٍ ينبغي أن يغنيها معاً الرجال والنساء، وأجمل الألحان منا تعددت فيها الأصوات وطبقاتها المختلفة والمتمايزة.

مقاطعة المنتج الفني السوري أمر مبالغ به

خلاص الدراما السورية بيد أبنائها وقبلهم الحكومة

خلدون عليا

بات القاصي والداني يدرك ويعرف تمام المعرفة أن الدراما السورية تعاني من مرض مزمن تجذر في جسدها خلال سني الأزمة ولعل الموسم الحالي هو خير دليل من ناحية نوعية وكمية الإنتاجات، في حين نجد أن النجوم السوريين الذين يعدون من الأكثر شهرة في الوطن العربي يتوزعون هنا وهناك وترتبط الدراما بأسمائهم وتسوق المسلسلات على أنها مسلسلاتهم في حين دراماهم الأم تقف عاجزة متفرجة بعد أن كانت في يوم من الأيام تتسيد المشهد العام والشاشات العربية في حين أصبحت تباع حلقات مسلسلاتها في الوقت الحالي بأزهد الأثمان لتمارس المحطات سياسة التكسير بأسعارها.

من الأعمال السورية التي هاجرت من أرضها

وبالمقابل يبدو الحديث عن مقاطعة المنتج السوري مبالغاً فيه إلى حد كبير فالمحطات لم تعد تجد بالمسلسلات التي يتم إنتاجها حالياً النوعية التي كانت تغري المشاهد وتجذب المعلن التجاري لأنه وبصراحة السوق تغير بالمطلق وهو ما يبدو أن القائمين على الإنتاج أو قسماً كبيراً منهم لم يفهموه أو لا يريدون أن يفهموه لذلك يقفون متفرجين على الأطلال يندبون وينعون ويشكون دون أدنى محاولة للمنافسة، في حين دخلت العديد من شركات الإنتاج لتسيطر على المشهد الدرامي بقدرات وممثلين وفنيين ومخرجين وكتاب سوريين.

في الموسم الماضي دخلت العديد من الشركات العربية لسوق الإنتاج الدرامي السوري فنشطت الحركة الدرامية ووزعت الدراما السورية على كبرى المحطات الفضائية واستعادت ألقها المفقود منذ سنوات لتعاود الغياب هذا العام لأسباب عديدة؟!

وإذا عدنا لفترة ألق الدراما السورية فإنه كان من أسباب الازدهار الدعم الحكومي اللامحدود وهو المطلوب حالياً من الحكومة التي تبدو مطالبة أكثر من أي وقت مضى بتقديم تسهيلات مفتوحة لشركات الإنتاج المحلية لدوران هذه الصناعة ولعله يجب وضعها في رأس أولويات إعادة الإعمار لأنه من المنطقي أن الدراما السورية كانت أهم صناعة محلية خلال العقدين الأخيرين لجهة المنافسة التصديرية وتوفير القطع الأجنبي وبنفس الوقت تشغيل عدد كبير من الأيدي العاملة فيها لذلك يمكن القول إن بداية الخلاص تكمن في الدعم الحكومي غير المحدود لأن هذا الدعم سيرتد للاقتصاد قطعاً أجنبياً ودوراناً لرأس المال وتحريكاً لعجلة الإنتاج وتوفير فرص عمل بكم كبير نسبياً.

بالمقابل على المنتجين التخلي عن عقليتهم القديمة في الإنتاج والتوجه نحو الترفيه بصورة أكبر فالدراما اليوم أصبحت ترفيهية أكثر منها فكرية على الأقل في الوقت الحالي فتواجدنا حالياً هو الأهم لاستعادة المكان الذي فقدناه لصالح غيرنا وعندما نثبت هذا التواجد ونحن قادرون على ذلك يمكن التغيير في سوية المنتج الدرامي الذي نقدم لكن الأهم لا بل الأكثر أهمية هو عودة التواجد وإثبات الذات من جديد ولعل الفكرة هنا أن الكاتب الجيد يستطيع أن يمرر الرسائل الفكرية التي يريديها حتى عندما يقدم عملاً أساسه الترفيه القائم على التشويق والإثارة أو حتى قصص الحب المكرسة.

اليوم بات من الواضح أن الدراما لم تعد تقتصر على التلفزيون بل إن تجربة المنصات العربية والعالمية تتكرس بصورة كبيرة وهو ما يفسح المجال الواسع للدراما السورية للعودة من جديدة ولكن الموضوع يحتاج إلى «قوة قلب» كما يقال بالعامية والقناعة بأننا كنا يوماً من زعماء هذه المهنة عربياً وعلينا أن نعود لمكاننا الطبيعي والعودة تكون من خلال التجاوب مع متطلبات السوق في المرحلة الأولى وأيضاً من خلال تقديم الفنانين والنجوم تنازلات للعودة إلى دراما بلدهم وإعطائها مثلما أعطتهم وجعلتهم نجوماً، نعم الدراما السورية بحاجتكم كما كنتم يوماً بحاجتها وأعطتكم كل ما كنتم تطمحون فبادلوها الكرم بالكرم.